التناص في رواية "حكاية العربي الأخير 2084" لواسيني الأعرج

Intertextuality in the novel "The Story of the Last Arab 2084" by Wasini Al-Araj

الشريف طرطاق

جامعة باجي مختار – عنابة (الجزائر) tartaq.sheryf.2020@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/16 تاريخ القبول: 2021/10/03 تاريخ النشر: 2021/11/06

الملخص:

يتناول هذا المقال التناص في رواية "حكاية العربي الأخير 2084" ، وذلك من خلال الكشف عن مدى حضور النصوص الأخرى داخل النص الروائي و الدور الذي تلعبه في تشكيل المعنى داخل الرواية و مدى إفادة الكاتب منها حيث تنوعت أغراض التناص، فمنه ما كان لغاية فنية جمالية، و منها ما كان استجابة لاقتناع ايدولوجي، و "حكاية العربي الأخير" و هي تنهض في متنها على خاصية التناص، و عرف صاحبها كيف يحبك الأدب و التاريخ و الدين و الموروث الشعبي متناسلا في حوار إبداعي.

الكلمات المفتاحية :التناص ، تداخل النصوص، النص الروائي، الخطاب الأدبي، حكاية العربي الأخير 2084، واسيني الأعرج.

Abstract:

This article deals with intertextuality in the novel The story of the last arab ,And that is by reveling the extent of the presence of other text inside the narrative text and the role it plays in shaping meaning within the novel and how useful the writer is from them,Wher the purposes of intertextuality varied from i twas not for aesthetic artistic purpose and from i the did not respond to adilogi's conviction,It rises in the board on the characterisic of intertextuality its owner knew how to love literaure, history, religio and folk heritage, reproducing in a creative dialogue

The citing form: intertextuality… overlapping, textual texts , literary speech the last arab story, Wasiny laredj.

المؤلف المرسل :الشريف طرطاق **البريد الالكتروني** :tartaq.sheryf.2020@gmail.com

1. مقدمة:

تتجاور النصوص فتتعالق ضمن النص الواحد، كما تتعدد الإحالات المرجعية فيه مشكلة الخطاب الأدبي، سيما فن الرواية التي اتسمت بانفتاحها على الخطابات الأخرى مشكلة تفاعلات بينها مباشرة أو ضمنا بقصد أو بغير قصد. فالنص الروائي نسق لغوي له علاقات مع نصوص أخرى تستدعي من القارئ النموذجي أن يكتشف عن هذا التفاعل بين النصوص الذي ينهض على استدعاء النصوص السابقة في نص لاحق على مستوى العنوان و نسيج النص، و هو أمر ضروري لأنه لا يوجد كلام يبدأ من الصمت (مفتاح، 1985، ص 121) . و قد كانت الدارسة البلغارية جوليا كريستيفيا (julia kristeva) أول من أطلق هذا المصطلح "التناص" (inter textuaite) و قد عرفته بقولها : «إن كل نص هوا عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، و كل نص هو تشرب و تحويل لنصوص أخرى » (كريستيفا، 1990، ص 78)، فالنص –عند كريستيفا – ليس نظاما مغلقا كما زعم الشكلانيون الروس إنما هو« عبارة عن ترسبات ثقافية، و ما تفعله تلك القراءات المختلفة هي عملية تقليب النص حيث يتحرك ما في القاع و تطفو الترسبات الثقافية إلى السطح» (حمودة، 1998 ، ص 373) و هذا الهاجس التناصي هوا الذي أغرانا بمحانولة سبر رواية : "حكاية العربي الأخير" للكاتب الجزائري واسيني الأعرج من منظور أفق تحليل تناصي.

2.تقديم الرواية :

رواية "حكاية العربي الأخيرة 2084 " لواسيني الأعرج نشرت سنة 2015 م ويبلغ عدد صفحاتها 447 صفحة، و هي من الحجم المتوسط، و تعتبر من الروايات التي وصلت ذروة الإغتراف من الأدب الغربي في محاولة لإعادة تشكيلها في ضوء معطيات جمالية و أسلوبية ودلالية جديدة، و هي رواية تحكي ما سيؤول إليه الوضع العربي في المستقبل وفق نظرة استشرافية مأساوية تتنبأ بموت العرب جميعا سنة 2084 م إلا آدم العربي الوحيد بطل الرواية الذي يشرف على إعداد قنبلة نووية بعد ما تعرض لعملية اختطاف في مطار رواسي بباريس، و قد سيق إلى قلعة أميروبا، و بقي فيها أكثر من خمس سنوات و قد إغري بجائزة نوبل , و أخفي عنه خبر موت زوجته، و أوهم بفكرة القنبلة التي توضع لأهداف سلمية وهي دحر للتنظيم الإرهابي، و بعدها يكشف حقيقة موت زوجته بمساعدة شريط بعث له من قبل صديقه الجنرال "سميث غوردن" و ترسم الرواية لنا في النهاية هجوم الإرهاب على قلعة

أميروبا و تفجير القنبلة و تفجر القنبلة فيها، و ينجو آدم الجريح بمساعدة "الميجر توني" الذي توفي على متن طائرة مروحية. و قد وظف الأعرج عدة شخصيات في روايته أمريكية و أوروبية، و حتى يابانية و تخيل العالم منقسما إلى ثلاث دول كبرى و هي : **روشيناريا : و هي حلف اتحاد روسيا و الصين و إيران اميروبا : و تضم أمريكا و أوروبا و إسرائيل آرابيا : و هي البلاد العربية التي تعيش ربيع الموت و تتشتت إلى دويلات صغيرة متناحرة.**

و لعل سبب اختيارنا لهذه الرواية هو متناصاتها مع رواية "جورج أورويل" الرجل الأخير في أوروبا 1984 م و سردها المغاير و ما تستلهمه من التاريخ العربي و الأمثال الشعبية هذا بالإضافة إلى وفرة التناص فيها مع التاريخ و الدين و الموروث الشعبي لتحقيق الحوارية مع ترسبات ثقافية عديدة.

3. مفهوم التناص :

- **لغة:**

لو بحثنا في المعاجم اللغوية لأمكننا أن نجد للتناص كمادة لغوية جملة من الدلالات نجملها في ما يلي:

أ) معنى الازدحام : في تناص القوم عند اجتماعهم أي ازدحموا (رضا، 1960، ص 472)

ب) معنى الظهور و البروز و الرفع و الاستقصاء: كقولهم نص الشيء رفعه و أظهره، وفلان نص أي استقصى مسألته عن الشيء حتى استخرج ما عنده، و نص الحديث ينصه نصا إذا رفعه (ابن منظور، د ت، ص 42)

ت) ما دل على ظاهرة اللفظ : و منه قول الفقهاء : نص القرآن، و نص السنة، أي ما دل على ظاهرة لفظها من الأحكام **(ابن منظور، د ت)** و التناصص مصدر الفعل على زنة تفاعل (يقطين، 1992، ص 29)، أي المشاركة و المفاعلة و بهذه التعاريف، فالتناص لغة يعني الازدحام و الرفع و الظهور و المشاركة و المفاعلة.

- إصطلاحا

أما مفهوم التناص اصطلاحا ، فيعني استحضار نص ما لنص آخر، إذ يرى رولان بارت (roland barthes) أن كل نص بحاجة إلى ظله « فكل نص لا بد له من ظلال على عكس الذين يريدون تظهيره من ظلاله»، (الأعرج، 2015، ص 86) هذا الظل الذي تحدث عنه "بارت" عبارة عن أشلاء نصوص معروفة و غير معروفة و سابقة عليه أو هو « خلاصة لما يحصى من النصوص الكائنة في الذاكرة أو القابعة في اللاوعي الفردي أو الجمعي، و كل إشارة في النص المتناهي تومئ إلى نص أو نصوص أخرى »، فالنص بهذا المعنى يقوم على التداخل و التحاور و التشارك عبر مجموعة من النصوص المهاجرة إليه و المستقرة فيه، و قد وقفت التعريفات الغربية و العربية و البلاغية القديمة على مصطلح التناص درسا و فحصا و تمحيصا و نقدا أو توظيفا غير أنها لم تتفق على تعريف جامع مانع يشفي الغليل، فكل ناقد له تصوره الخاص للمصطلح، و يمكن اعتبار التناص مدخلا على غاية من الأهمية في دراسة رواية "حكاية العربي الأخيرة 2084" لواسيني الأعرج" لما تنطوي عليه هذه الرواية من تفاصيل و أجواء رواية أورويل الرجل الأخير في أوروبا سواء تعلق الأمر بالعنوان، أو الرؤية التنبؤية أو ما تعلق الأمر بالحكم الديكتاتوري للأخ الأكبر أو الأصغر في الروايتين، فضلا عن تنوع الأساليب مشكلة نمنمة متمردة على كل الأشكال أبنية السرد التقليدية.

4. تجليات التناص و دلالته في رواية حكاية العربي الأخيرة 2084 :

إذا ما ألقينا نظرة على هذه الرواية، فإننا نستشف تداخلا بين نصها و نصوص مختلفة احتوت عليها، فقد لجأ الروائي إلى صياغة معماريتها بأنماط متعدد من المقتبسات النصية و التضمينات المرجعية التي تمازجت مع النص الأصلي داخل الخطاب الروائي، و قد توزعت تلك الأنماط بين نصوص دينية و أخرى أدبية و تاريخية و أسطورية و استحضار لشخصيات تاريخية، و قد أكسبت هذه التناصات الروائية دلالات جديدة عمقت تجربة واسيني الأعرج و أكسبتها ثراء.

1.4التناص الأدبي :

من أنماط التناص في الرواية ما اقتبسه الكاتب من الرواية الغربية و بالتحديد رواية جورج أوريل 1984 و رواية "صحراء التتار" للروائي الإيطالي دينو بوتزاتي (الأعرج، 2015، ص 382) ، فهاتان الروايتان كان لهما تأثير كبير على مخيلة الروائي في إبداع روايته مع بعض التعديل و التحوير فيها.

- العنوان:

ففي رواية "حكاية العربي الأخير 2084" استعارة صريحة سواء أتعلق الأمر بالتسمية أم بالعنوان أو ما تعلق بالمضمون و الحيثيات، فمن حيث العنوان فهو يحمل الرقم ذاته بزيادة مئة سنة ليتم الأخ الأصغر ليتل بروذر ما بدأ به الأخ الأكبر بيغ بروذر من إنجاز ديكتاتورية عظمى تسيطر على كيان العالم، و في هذا علاقة تعلن عن نفسها بين الروايتين. لذا اتخذ واسيني الأعرج من رواية أوريل إطارا يتحرك فيه مستعيرا منها الأجواء الكابوسية و الرؤية التنبؤية التي تنذر بتمزق العالم و هي أبرز تيمة للروايتين، فبطل رواية "العربي الأخير" هو آدم و هو استنساخ لعنوان رواية أورويل "آخر رجل في أوروبا" و هوا عنوانها الأصلي، و عليه فالكاتب واسيني الأعرج قام بتجديد هذا العنوان و صياغته مرة أخرى في إبداع روائي مبتكر، و هذا النوع من التناص هو ما أسماه سعيد يقطين ب "المناص para) " (textualitéو هو بنية نصية جزئية يتم توظيفها داخل النص. (الأعرج، 2015، ص 55)

- التأطير:

يأخذ واسيني إطار رواية جورج أوريل الذي تنبأ بواقع المجتمعات الغربية الحديثة حيث ينقسم العالم إلى ثلاث دول كبرى و هي : أوشيانا و اوراسيا و اسيتانيا، أما باقي دول العالم كالهند و الشرق الأوسط و إفريقيا فهي ساحات للحرب و مسرح أطماع بين الدول الثلاث ، و تخضع هذه الدول الثلاث تحت حكم استبدادي الذي زرع شاشات رصد و مراقبة تحت قيادة الأخ الأكبر، و يغير الكاتب قليلا في تقنيات بناء السرد ليجعل "ليتل بروذر" هوا الحاكم لنظام لحكم الديكتاتوري في قلعة أميروبا بدلا من الأخ الأكبر (بيغ بروذر) و مثلما تغير الديكتاتور يتغير بطل الرواية فإذا كان بطل اللرواية أورويل هو "وينستون سميث" الذي كان ناقدا لسياسة الحزب الديكتاتوري، فإنه بطل رواية العربي الأخير2084" آدم فهو عالم فيزيائي يتعرض للاختطاف و يعمل على صناعة قنبلة نووية، ومن نقاط التشابه أيضا الرؤية التنبؤية فواسيني الأعرج قسم هوا الآخر العالم في روايته إلى ثلاث دول كبرى و هي

: روشيتاريا و أميروبا و آرابيا ، و هي البلاد العربية التي كانت مسرح المعارك إذ صار العرب بقايا بشر بلا ذاكرة ولا مستقبل، لذا يمكن القول أن مابين الروايتين تشابها كبيرا فما وقع من أحداث في رواية أورويل يستمر في الجزء الثاني من "رواية الأعرج"، و كأن الروايتين هما مسلسل له حلقات متتابعة و مستمرة وفق رؤية ديستوبية (اوريل، 2014، ص 155) وقد برزت قدرة الكاتب في توظيف الخطاب الروائي توظيفا فنيا متناغما مع نسيج بنائه اللغوي و استثمار ما فيه من طاقات إيجابية و إشارات غنية واضحة تعبر عن تجربته و تصوراته من خلال وصفه للمكان الذي تجري فيه أحداث الرواية، و هو قلعة "أميروبا" و هو مكان افتراضي أوجد له شبها بقوله » هذا المكان المعزول الذي نبت في الرمل بشكل غير محسوب، كأنه نبتة شاذة قلعة أميروبا داخل خواء الرمل تشبه صحراء التتار << (الأعرج، 2015، ص 365) ، ففي هذا الوصف إشارة إلى رواية عالمية و هي "صحراء التتار" (الدهون، 2011، ص 19) للكاتب الايطالي دينو بوتزاتي التي نشرت عام 1940 هذه الرواية التي تجري أحداثها في حصن عسكري يدعى "باستشياني" وقد عين فيه الملازم الشاب (دروغو) ليؤدي مهامه العسكرية، و قد تملكته داخل القلعة مجموعة من المشاعر أبرزها فقدانه للسعادة التي كان ينعم بها وظل يعيش قناعة تامة بأن العدو آت لا محالة من الصحراء و لكن من هذا العدو ؟ و متى يأتي ؟ و من أية ناحية يأتي ؟ أسئلة لا جواب عنها، و بقي منتظرا و مستعدا للمواجهة، فهي رواية الانتظار الإنساني للمجهول لما قد يأتي و قد لا يأتي. و بالعودة إلى رواية "حكاية العربي الأخير" فإننا نلاحظ تقاطعها مع رواية "صحراء التتار" التي تتشابه معها من حيث المكان الذي تجري فيه الأحداث و هي الصحراء التي تنعدم فيها الحياة، و لعل توظيف واسيني هذا التناص في روايته ليوثق نصه بحجج أدبية، و يضفي على متخيله السردي طابعا جماليا، و قد عقد الكاتب مشابهة بين بطل رواية "صحراء التتار" "جيوفاني دروغو" و الجنرال "سميثغوردن"(الأعرج، 2015، ص 56،57) إحدى شخصيات رواية العربي الأخير بقوله: » كان سميث في لحظات راحته الداخلية و سكينته يشبه نفسه بقائد صحراء التتار الذي عندما جاءت الحرب التي استعد لها على مدار ثلاثين سنة مضت أصيب بمرض أقعده حتى الموت «، فهذه الفقرة في الرواية تدل على استقاء الكاتب من الرواية الغربية المحايثة لنصه ليحاورها مما أظهر تأثر واسيني بهذه الرواية، و قد عمد إلى الاستعانة ببعض شخصياتها الروائية بما يتماشى و موقف

شخصيات حكاية العربي الأخير 2084، و يشير الروائي في الهامش إلى الرواية التي يمثلها البطل "جيوفاني دروغو" الذي كرس حياته كلها لانتظار ذلك الذي لا يأتي أبدا و السبب بسيط هو أن هذه الصحراء التتارية تقع عند حدود ضائعة غامضة، و من هنا صار هذا الحيز من الأرض حيزا مغلقا تماما على ذاته، و صار من المستحيل على أحد أن يفكر بغزوه و لكن "جيوفاني دراغو" رأى رأيا آخر و هو أنه واثق بأنه ثمة عدو سيصل إلى هنا و يبقى يعيش في الانتظار مستعدا للمواجهة، و من خلال هذا الطرح الروائي المزدوج تتبين فكرة التناص التي تتجلى في التماثل و التقابل بين شخصيتين ورقيتين و الكشف عن عوالمهما، مما خلف تمازجا و تفاعلا بينهما و هذا دليل على سعة المخزون الثقافي لدى الروائي. و بهذا قدم الروائي حيزا كبيرا للشخصية الغربية، و قام باستحضارها في روايته مقدما في ذلك صور تعادل شخصية الآخر في كتابته، مما أوجد تناصا جليا (مباشرا) بين شخصية كل من الجنرال "سميث غوردن" و الضابط الشاب "جيوفاني دروغو" . بالإضافة إلى استحضار شخصية "بيغ بروذر" التي كان لها وقع كبير في صنع حياة حفيدها " ليتل بروذر" و يتجسد التناص بينهما في طريقة العيش و أساليب التعامل مع الجند داخل القلعة، ليجعل بذلك صورتهما مستنسخة تماما كما حاول الروائي أن يقرب الصورة بين كل من شخصية "آدم" بطل الرواية "حكاية العربي الأخير" و شخصية "وينستون" بطل رواية جورج أورويل 1984 ، فيضع بذلك صفة الطيبة و نقد سياسة القائد الديكتاتوري صفتان جوهريتان تجمع بينهما على اعتبار أن الذي حدث مع "وينستون" عندما فكر في نقد سياسة "بيغ بروذر" و اكتشف أمره عن طريق المخابرات التي كلفة شخصية "أوبراين" بالتجسس عليه زج به في السجن و يكتشف بعدها خداع "أوبراين" فيذوق أشد العذاب ليشفى من جنونه لصالح المنفعة العامة و تشاركه جوليا حبيبته الثائرة في السر (حميدان، 2000، ص 63)، و بهذا تكون شخصية "وينستون" كشخصية آدم ليس في الطيبة و نقد القائد الديكتاتور فقط، و إنما حتى في سجنه و تعرضه للخداع عندما شاهد الشريط المفبرك حول زوجته "أمايا"، ثم خضوعه لرقابة صارمة و وضعوا في معصمه شريحة تحدد مكانه بسهولة و زرعوا في غرفته أجهزة تنصت و كاميرا مراقبة، و تشاركه "إيفا" حبيبته التي تقدر إنسانيته و تعترف به كعالم يحظى بالاحترام » لا أدري ما أقول أشكرك لا تكفي فيك « (الضيفة، 1994، ص 27)، و قد كانت "إيفا" تناهض سياسة ليتل بروذر ، و استعملت كل ما في وسعها لمساعدة

سكان آرابيا » اخترت أن أبقى هنا أو ربما أموت هنا، مع أناس لا يعرفونني و لكنهم وضعوا كل حياتهم بين يدي « (الأعرج، 2015، ص 305، 306) ، هكذا شكلت رواية "حكاية العربي الأخير" عالما مفتوحا تداخلت فيه الرواية الغربية مما جعلها تكتسي طابعا جديدا يضفي على المتن الروائي صبغة جمالية، و كانت الشخصيات الورقية هي العنصر الأساسي لذي اعتمد عليه مستحضرا أفكارها وصفاتها و طريقة رسم المعالم الكبرى لحياتها مما يجعلنا نرصد انفلاتا تناصيا من خلال الإضافات التي تتمثل في تقديم نموذجا للبطولة الروائية ، و هي مضادة للبطولة التاريخية ، فهي بطولة اللا بطولة كما أن أورويل كان متفائلا في روايته ثم أصبح متشائما بينما "رواية حكاية العربي الأخير"تذهب من لحظة الكآبة إلى لحظة أشد حزنا و رعبا ، وهي انقراض العرب سياسيا و حضاريا و ثقافيا ، و هذه الرؤية تعكس قدرة الكاتب على اقتحام مجال التجريب في البنية النصية للرواية من حيث الشكل الروائي و المضمون الذي يعاصره الواقع الراهن الذي يعيشه العالم العربي.

2.4 التناص الديني:

يعد النص الديني مصدرا رئيسيا لمد النصوص السردية العربية بالمدلول الحكائي الذي يحمل مكوناته الخاصة ، و استطاعت الرواية العربية أن تبني السرد وفق القصة الدينية، و أن تستلهم الشخصيات الدينية و توظفها في بينتها الفنية، و خاصة و أن القرآن الكريم يشمل على مادة فكرية تمد الأديب بكل ما يحتاجه في عمله الروائي، فهو«طاقة خلاقة من الذكر و الفكر يجد فيه الذاكرون و المتفكرون لمسات سماوية تهتدي لها المشاعر و تقشعر من روعتها الجلود كلما تدبرت معانيها و استشعرت جلالها » (الأعرج، 2015، ص 306)، و يتضح التناص مع النص الديني في اللغة و الأسلوب، فالمؤلف يضمن نصه الروائي آيات قرآنية، و هذا ما نلمسه في الرواية كقوله : « أنا آدم القليل منكم يعرفني أو سمع بي، اختزلت كل شيء في اسمي و مساري حملت رماد الجنة و حطام امرأة لم أعرفها إلا قليلا و غادرت المكان بخطى حثيثة يوم انتصر الشيطان و استولى على العرش كله الذي أراده من بدء الخليقة، لم أكن في حاجة لأن أطرد فقد طردت نفسي و رميني من الأعالي و تركتني أهوى كورقة جففها الزمن و أثقلتها قطرات المطر » (الأعرج، 2015، ص 163) ، ففي هذا التعبير السردي امتصاص لمعنى الآيات القرآنية التي تناولت قصة آدم و حواء و غواية إبليس لهما مصادقا لقوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك

الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(سورة البقرة، الآية35)، فأنزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين » (الأعرج، 2015، ص 24) ، فالمتمعن في أسلوب الروائي يلاحظ تقاربا بينه و بين نص الآيات و لكنه لم يظهر لغة آية مفردة قرآنية، و لم يعتمد أيضا على الصياغة أو الأسلوب الذي تشكلت به الآيات الكريمة في حديثها عن قصة آدم و حواء، بل عمد الكاتب إلى صهر تلك الصياغة القرآنية في لغته الخاصة و سكب عليها من بلاغته ، و هذا شكل من أشكال التناص تبدو فيه عملية الامتصاص و تشرب النصوص السابقة وفق جدلية الخفاء و التجلي. وفي هذا التناص تصوير للقصة التي تختزل تاريخ البشرية و ما تعيشه من واقع مرير و صراع أبدي، فما يحدث من إرهاب و حروب ليس قدرا محتوما ، بل هو من صنع الإنسان الذي سعى فسادا في الأرض ، و لقد استدعى الروائي شخصية آدم و جعله بطلا للرواية و كان الإنسان هو مركز الكون و هو المسؤول، فالروائي و هو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون متناسبة و منسجمة بحيث تتحقق للنص مقروئية و للشخصية احتمالاتها و وجودها (الأعرج، 2015، ص 321)، فاستدعاء شخصية آدم في المتن الروائي و كبطل للرواية إنما هو تعبير عن رؤية الروائي لقضايا عصره في ضوء القصة الدينية ، فعندما خلق الله تعالى آدم و كرمه حيث أمر الملائكة بالسجود له إلا إبليس امتنع عن ذلك فاستحق غضب الله و قام بإعلان العداوة لآدم و ذريته، فبدأ الصراع منذ بدء الخليقة بين الحق و الباطل فكان أمرا متلازما حتميا قرره الوحي الإلهي تقريرا بينا، و هذه الحقيقة هي ما تصورها الرواية منذ آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، حيث ترصد الرواية الوضع العربي الراهن الذي يشهد التمزق و التفكك و الفهم المشوه للبعض الاتجاهات الفكرية التي تغزو بلادنا المسلمة و تجند العديد من الانحرافات العقائدية تنسب للإسلام و تبيح دماء المسلمين و تجعل الشعب المسلم قابلا للموت بلا مقاومة على يد جميع أعدائه سواء أكانوا طغاة محليلين أم أجانب مستعمرين، و تصور من يقاوم ضد الاحتلال بأنهم أناس إرهابيين فيكون الحاصل النهائي شعوب تستباح بكل طريقة قتلا و سرقة و اغتصابا، حيث يستمد الآخر وجوده و قوته من خلال مصادرة حق الذات العربية و إلغاء واقعها تدريجيا عبر « تحويله شيئا فشيئا من نسق حضاري كلي له شرعية التاريخية، إلى جسم ميت لا يصلح إلا كمادة أولية لا هوية لها خارج دائرة المشروع الغربي

الحديث بأفكار و مؤسساته »و الخطر ليس في الإسلام، بل في الرؤية العقائدية و الفكرية التي تبنتها القوى التي تستخدمه، « إرهابيو التنظيم كما تجمع عليهم كل وسائل الإعلام كائنات هلامية بلا وجه و هوية متحولة مع الزمن » (الأعرج، 2015، ص 322) ، وهواجس الكراهية و الانتقام من الطرفين عززت المد الإرهابي و ضاعفت خطورته، فقد أصبح « جيشا دوليا احتل مناطق واسعة من آرابيا الإرهاب لا رأس له على الرغم مما يبدو ظاهريا فهو مثل جرثومة المياه العذبة أينما نزلت نقطة منها تجددت و تضاعفت ». لهذا تبرز مقدرة الكاتب من خلال التناص مع الآيات الكريمة في تصوير بداية لحظة الصراع الأبدي بين الحق و الباطل ساحته الأرض و هي صحراء "آربيا" الواقعة في الربع الخالي بين مضيق هرمز و البحر الأحمر و نهايته موت كل الآرابيين. و من التناص أيضا في الرواية قول الكاتب : « ... أصبح للتنظيم معروفا بتوقيعاته على أجساد الضحايا بوضع علامة الصليب على صدر المقتول و الكتابة تحتها التنظيم و آية قرآنية و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم »(سورة الأنفال، الآية60) ، فهذه الآية الكريمة اقتبسها الكاتب من سورة الأنفال التي تتحدث عن القوانين التي يعتمد عليها النصر، و هذا مناسب لأسباب نزول السورة ،و أن لفظة إرهاب التي ذكرت في الآية تهدف إلى منع القتال و ليس إلى سفك الدماء، فالمطلوب أن تكون للمسلمين قوة رادعة ترهب أعدائهم فتكون النتيجة وقف القتال، و قد وظفها الكاتب ليرسم صورة الآخر (الغرب) في فهمه للإسلام بأنه دين إرهاب و تناسى ما قام به من جرائم ليحمي نفسه من التنظيم الذي هو بدوره من صناعته، و هذا هوا حال شخصية"سيف الكوربدو" الإرهابي « إرهابي معروف و قاتل محترف و خريج أمريكا »، فهو مشبع بأفكار متطرفة « ستعرف جديتي عندما نحرق قاعدة اليهود و المسيحيين و المسلمين الكفرة ستحرقون فيها كالجرذان » (الأعرج، 2015، ص 117) ، وهي تهديدات الكوربو لآدم في مكالمة هاتفية عبر الأقمار الصناعية. كما وظف الكاتب التناص مع الآية الكريمة في قوله تعالى: « ... قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون »(سورة الشعراء، الآية49)و قد ورد التناص مع هذه الآية –عند الكاتب– حين صور مشاهد الاغتيالات التي ارتكبها "الكوربو" «هاهو كبيركم الذي علمكم السحر فرانكي دوفوكو الذي يحب المجتمع البدائي فأعطيناه ما احتاج من نار » (الأعرج، 2015،

ص 98) ، و قد وقع التناص في عبارة "ها هوا كبيركم الذي علمكم السحر" الواردة في قوله تعالى« .... قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون »، و في هذا التناص استحضار لقصة فرعون مع السحرة حين قال لهم : إن موسى هو كبيرهم ، أي كبير السحرة و أستاذهم الذي علمهم السحر، و لعل توظيف الكاتب لقصة فرعون مع السحرة ليدل بها على سياسته الاستبدادية فقد اتهم موسى بالمتاجرة بالدين و السحر مع العلم أن موسى بعثه الله ليقضي على استبداد فرعون و التمكين للمستعفين. لهذا يمكن القول أن الحملة الفرعونية الشرسة على موسى عليه السلام بتشويه صورته باتهامه بالسحر و المكر و الافتراء و الكذب هو ما تصوره الرواية حين لجأ الغرب إلى صناعة الإرهاب و الإسلام المتطرف لكي يتسنى له بسط نفوذه كما شاء، و لقد نفذ "الكوربو" تهديداته و روى ظمأه للدم و كان حلمه إقامة الدولة الإسلامية، هذا المشروع الذي اجهضه الغرب. و قد ورد التناص أيضا ما جاء على لسان البعثة المتخصصة في تفجير القنبلة النووية: «يجب إنذار الساكنة بقنابل حرارية غير إشعاعية لتدرك مخاطر ما سنتعرض له إذا بقي الإنذار بلا جواب نطلق القنبلة النووية الصغيرة تطبيقا لقانون السن بالسن و البادي أظلم » (الأعرج، 2015، ص 104) و هنا تكمن الإشارة إلى قوله تعالى « و كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس و العين بالعين و الأنف بالأنف و الأذن بالأذن و السن بالسن و الجروح قصاص فمن تصدق فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (الأعرج، 2015، ص 151) ، حيث عمل الروائي على امتصاص الآية القرآنية عن طريق الإقتباس في عبارة السن بالسن و البادي أظلم ليأتي هذا الإقتباس مناسبا للموقف الذي يعرضه و هو ممارسة العدل و عدم القيام بالقتل ظلما.

3.4 التناص التاريخي :

من أنماط التفاعل النصي في الرواية استلهام الكاتب لبعض النصوص التاريخية التي تصف مبنى "قلعة اميروبا" « و هو مكان افتراضي خلقه الكاتب من خياله و تجري فيه الأحداث يقول الكاتب :"كل من زواروا القلعة" اندهشوا في تاريخها و تنظيمها يرويه ليتل بروذر بحماس العارف من وراء الشاشات لضيوفه العابرين، و يضع بين أيديهم وثيقة بها

صور و تاريخ لن يجدوه في مكان آخر (الأعرج، 2015، ص 151)» . وقد برزت قدرة الكاتب في توظيف الخطاب التاريخي توظيفا فنيا متناغما مع نسيجه الروائي « على الرغم من شهرة أميروبا، لم يكن آدم يعرف عنها الكثير باستثناء كونها قلعة تعرضت للكثير من التحولات سمع و قرأ بعض التفاصيل عنها قبل أن يجد نفسه في عمقها» (الأعرج، 2015، ص 210)، كما يميل الكاتب إلى استعارة نصوص من التاريخ تتحدث عن تاريخ القلعة عن طريق الإحالة لها في التهميش مبرزا شهادات تاريخية تؤكد على أن العرب كانوا أصحاب حضارة إنسانية، فقلعة أميروبيا في تاريخها الأول تعود لقبائل كنعانية (الأعرج، 2015، ص 24) لم يبنوها لكنهم رمموها و فتحت في الفترة الإسلامية عام 636 هـ بقيادة خالد بن الوليد و أبي عبيدة بن الجراح، و في العهد السلجوقي (الأعرج، 2015، ص 372) ، و العهد الأيوبي (العنتيل، 1978، ص 245) ، طورها الظاهر غازي بن صلاح الدين (الأعرج، 2015، صفحة 86) ، ثم رممها الأشرف خليل بن قلاوون (حسين، 2007/2008، ص 143) بعد أن دمرها "هولاكو" و أحرق مآذنها و كنائسها و معابدها، و في عام 1415 م شيد السلطان الملك الناصر بن برقوق (لؤلؤة، يوليو أغسطس 1991، ص 14)، فكل هذه الحقائق التاريخية جاء بها الكاتب ليدل بها على عراقة القلعة الضاربة بجذورها العميقة في التاريخ ، فالماضي بشخوصه لا ينفك يغري الأديب بالعودة إليه و النبش فيه و قراءة رموزه و دلالاته و إعادة ترتيب وقائعه و فك طلاسمه. و تظهر براعة العرب في مجال بناء السدود إذ اشتهر سكان "تارزا" الجنوبية ببناء السدود مثل سد "مأرب" الذي بناه السبئيون قديما "السد الكبير" الذي بني على أنقاض سد تاريخي مارابا الذي بناه السبئيون في القرن الثامن قبل الميلاد (البقاعي، سبتمبر 1998، ص 50) ، و لكن ما تصوره الكاتب في روايته هو تعرض المكان للاحتلال و سلب بعده التاريخي و الإنساني و تشويه معالمه، فالمكان هو الدليل على وجود الإنسان و اغتصابه هو تهديد بالغياب، لذا فقلعة أميروبا الافتراضية تؤدي وظيفة رمزية تدل على سقوط الحضارة عندما يتولى قيادتها الحمقى، كما تدل على سلب إرادة شعبها فبلاد المسلمين هي مستعمرات أقام فيها المستعمر دولا ليخفي حقيقة استعماره و هي تأتمر بأمره و تحارب شعوبها لحسابه.

4.4 التناص مع الأمثال الشعبية:

يعتبر الأدب الشعبي موروثا ثقافيا لا يمكننا الإستغناء عنه، و تعد الأمثال الشعبية أكثر أنواع الأدب الشعبي التي شكلت وسيلة هامة في تقريب رسالة المبدع من واقعه الخاص، و لقد استدعى واسيني الأعرج في روايته جملة من الأمثال الشعبية السائدة في المجتمع الجزائري، ومن الأمثال الواردة قول الكاتب : «تذكر آدم المثل الذي ظل والده يكرره كلما تعلق الأمر بأقاصي الظلم "واش يدير الميت قدام غساله ؟"» (البقاعي، سبتمبر 1998، ص 51)، و هذا المثل يضرب لمن لا يجد بدا من قصد شخصا في أمر مهم، ويتصرف ذلك المقصود كما شاء، أو عندما يقع الشخص في مأزق و تتقطع به السبل ويستسلم، و هذا هوا حال "آدم" بطل الرواية فقد خضع لممارسات وحشية و أجبر على تناول محاليل منومة أفقدته وعيه « شعر آدم بالبرودة في داخله ، وكأن دمه توقف فجأة عن الحركة »، و من الأمثال التي وظفها الروائي أيضا قوله : "أفطر به قبل ما يتعشى بي"، و يضرب هذا المثل لمن تتوقع منه الشر فلا تفوت الفرصة على مباغتته وضرورة أخذ الحيطة من أمر يتوقع منه ضرر، و قد جاء المثل على لسان "ليتل بروذر" قائد قلعة أميروبا سمعت أنها مقولة عربية : "أفطر بيه قبل ما يتعشى بي"، و في هذا المثل تعبير عن الحرب التي لا تهدأ بين أميروبا و التنظيم الإرهابي. ومن الأمثال الطريفة أيضا « يأكل في الغلة و يسب في الملة »، و يضرب هذا المثل لمن يتنكر للمعروف و يجحد الخير ، و قد جاء على لسان رئيس الجمهورية الذي همس في أذن آدم « ستستفيد من منحة دراسية علمية و لا تفعل مثل الآخرين يأكل الغلة ويسب في الملة »، و هنا إشارة لشخصية الإرهابي سيف الكوربو الذي باع نفسه للتنظيم رغم أنع خريج أمريكا، كما جاء المثل في قول الكاتب على لسان قائد قلعة أميروبا « لا أريد أن يستعيد أعدائي مثلهم المفضل الذي يتكرر كثيرا في مثل هذه الحالات "كي الصياد يمشي يصيد السلوقي يروح يبول »، و يضرب هذا المثل للرجل الذي يفتقد للسند و الدعم عندما يكون في أمس الحاجة إلى ذلك علما بأن "السلوقي" يتميز بأنه يصيد لصاحبه و يكون عضدا له، و قد وظفه الروائي ليدل به على فقدان القائد "ليتل بروذر" طاعة جنده عندما وقع الهجوم الإرهابي على القلعة فشعر حينها بالانهيار و الخيبة.

5.4 التناص مع الأغنية الشعبية:

الأغنية الشعبية كما عرفها فوزي العتيل هي "قصيدة غنائية ملحنة، مجهولة النشأة، نشأت بين عامة من الناس في أزمنة ماضية و بقيت متداولة أزمانا طويلة، و في هذا النوع من الأغاني لا يهتم الناس بمؤلف أو ملحن"، و قد وردت الأغنية الشعبية في الرواية كما يلي:

يا النوووووووووو صبي صبي
ما تصبيش علي
حتى يجي خو حمو
و يغطيني بالزربية
يا النوووووووو
عووووووووووووو و

و في هذا التناص مع الأغنية الشعبية و هي أنشودة المطر التي لها مكانتها الخاصة في مجتمعاتنا العربية، فطالما مثل المطر مصدرا للإلهام لدى بعض الشعراء و قد غدا المطر في هذه الأغنية مناسبا لأجواء الكآبة التي تحيط ب "آدم" بطل الرواية، فعندما تذكر هذه الأغنية فقد عاد به الزمن إلى مرحلة الطفولة زمن البراءة و السعادة التي أفل نجمها و لم يعد بالإمكان العودة إليها. وقد يجد الباحث في التراث العربي العديد من الأهازيج الخاصة بالمطر و التي تردد كلمات شجية ممزوجة بألحان شعبية تحكي حكايات اللهفة و الشوق إلى قدوم المطر عند تأخره و احتباسه و تقال فرحا بنزوله.

خاتمة:

كان لظاهرة التناص في رواية "حكاية العربي الأخير 2084" حضورا لافتا، و قد جاء التداخل النصي ذا دلالات ساعدت على تكامل العمل الروائي، فلم يكن ذا منحى جمالي فقط ، و إنما أسهم بشكل كبير في الكشف عن رؤية الأديب الفكرية حول ما يجري من قضايا سياسية تعيشها البلاد العربية. و قد كان للتناص الأدبي حضور مميز في الرواية، فأثرى تجربة واسيني الروائية، و أظهر مقدرته على الإذابة و التحويل و الصهر و التضمين و حسن التعامل مع مخزون الأدب العالمي , و كان للتناص الديني أثره البالغ في البناء الروائي، فقد أسهم في توضيح رؤية الكاتب عندما تحدث عن أسباب الصراع

الحضاري و تراجع الأمة العربية ، فليس كل شر لا بد أن يأتي من الخارج، فالأمة ذاتها أضرت نفسها بنفسها حتى خضعت و ضعفت أمام العوامل الخارجية كسوء فهم الإسلام كدين و غياب القادة، و تكمن مقدرة الكاتب على توظيف النص القرآني مع النص الروائي كان للتناص مع الأدب الشعبي كالأمثال و الأغنية الشعبية و الأسطورة حظا وافرا، كما استطاع الروائي أن يوظف النص التاريخي الذي كان مستندا رافدا مرتبطا بتاريخ القلعة الحضاري و الزمان و المكان.

- 5. قائمة المراجع:

إبراهيم مصطفى محمد الدهون. (2011). *التناص في شعر أبي العلاء* (الإصدار ط1). أربد، الأردن: علم الكتاب الحديث.

ابن منظور. (د ت). *لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساذة* (الإصدار ج3). مصر: دار المعارف.

أحمد رضا. (1960). *معجم متن اللغة*. بيروت : منشورات مكتبة الحياة.

السعيد يقطين. (1992). *الرواية و التراث السردي*. بيروت لبنان: المركز الثقافي العربي.

العربي حسين. (2007/2008). *التناص و جمالياته في شعر مصطفى الغماري مذكرة ماجستير* . جامعة الجزائر .

جورج اوريل. (2014). *الرواية 1984*.

جوليا كريستيفا. (1990). *علم النص* (الإصدار ط1). (فريد الزاهي، المترجمون) الدار البيضاء المغرب: دار طوبقال للنشر.

حسين الضيفة. (1994). *الآخر في منظور الفكر الغربي الحديث* (المجلد ط1). لبنان، بيروت: دار الفكر اللبناني.

حميد حميدان. (2000). *بنية النص السردي* (الإصدار ط3). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع.

سورة البقرة. (بلا تاريخ).

عبد العزيز حمودة. (1998). *المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)* . الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

عبد الواحد لؤلؤة. (يوليو أغسطس 1991). *من قضايا الشعر العربي المعاصر، التناص و الشعر العربي السنة السادسة*. مجلة الوحدة.

فوزي العنتيل. (1978). *بين الفلوكلور و الثقافة الشعبية*. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

محمد خير البقاعي. (سبتمبر 1998). *تلقي دوران بارت في الخطاب العربي النقديي و اللساني و الترجمي*. عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

محمد مفتاح. (1985). *تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)* (الإصدار ط1). بيروت ،لبنان: دار التنوير للطباعة و النشر.

واسيني الأعرج. (2015). *حكاية العربي الأخير، 2084* . وحدة الرغاية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.